المحور الأول : مدخل عام حول الإبتكار

يُعدّ الابتكار أحد الركائز الأساسية في دفع عجلة التقدُّم البشري، ومحفّزًا جوهريًّا للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والتقنية في العصر الحديث. وخلافًا للتصوُّر الشائع الذي يحصر الابتكار في الاختراعات التكنولوجية فحسب، فإنّه يشمل – من منظور أكاديمي أوسع – تطوير أفكار جديدة أو تحسين الحلول القائمة بطرق تخلق قيمة مضافة في السياقات الاقتصادية، والتعليمية، والتنظيمية، بل وحتى الثقافية. وتشير الأدبيات الأكاديمية إلى أن الابتكار لا ينشأ في فراغ، بل هو نتاج تفاعل دينامي بين المعرفة، والموارد، والبيئة المُمكِّنة التي تشجّع على الإبداع وتحمّل المخاطر.

وفي ظلّ التحديات المعقّدة التي تواجه المجتمعات المعاصرة – من تغيّر مناخي، إلى تحوُّلات رقمية متسارعة، واحتياجات سكانية متزايدة – بات الابتكار ضرورة استراتيجية لا رفاهية اختيارية. ولقد أظهرت الدراسات أن الاقتصادات والمؤسسات التي تستثمر في بناء ثقافة الابتكار وتبني نُظمًا داعمة له، تتميّز بمرونة أعلى وقدرة أقوى على التكيُّف مع التغيير وتحقيق ميزة تنافسية مستدامة.

أولا : لمحة عامة عن ماهية الإبتكار

الابتكار هو مصطلح يُشير إلى العملية التي تشمل تطوير وتنفيذ أفكار جديدة أو تحسين الأفكار القائمة بهدف إحداث تغيير إيجابي أو تحسين في أي جانب من جوانب الحياة. يمكن أن يكون هذا التغيير في المنتجات أو الخدمات أو العمليات أو حتى في الثقافة والمجتمع؛ الابتكار ليس مقتصرًا على العلوم والتكنولوجيا، بل يمتد إلى مجموعة متنوعة من المجالات بما في ذلك الاقتصاد والأعمال والتعليم والفنون والتصميم والسياسة والعلوم الاجتماعية والبيئة والصحة والمزيد

1.توجه الإقتصاد العالمي نحو الإبتكار:

توجه الاقتصاد نحو الابتكار يعكس تحولًا هامًا في طريقة تفكير وتنظيم الاقتصاد في السنوات الأخيرة، أصبح الابتكار مكملًا للنمو الاقتصادي والتطور، حيث أدركت الدول والمؤسسات أهمية تعزيز الابتكار كجزء من استراتيجياتها الاقتصادية؛

إليك بعض الجوانب الرئيسية لتوجه الاقتصاد نحو الابتكار:

1. **تعزيز البحث والتطوير (R&D):** تخصيص المزيد من الموارد لدعم البحث والتطوير في مجموعة متنوعة من الصناعات. هذا يشمل الاستثمار في البنية التحتية البحثية وتشجيع الابتكار في الجامعات والمؤسسات البحثية.
2. **خلق بيئة مشجعة للابتكار:** تشجيع المشاركة الفعّالة للشركات والأفراد في عملية الابتكار من خلال توفير المنح والإعفاءات الضريبية وحماية حقوق الملكية الفكرية.
3. **تعزيز ريادة الأعمال (Entrepreneurship):** دعم رواد الأعمال وتوفير البنية التحتية والتمويل اللازمين لبدء الشركات الناشئة وتطويرها.
4. **تعزيز التعليم والتدريب:** تعزيز التعليم والتدريب في مجالات ذات صلة بالتكنولوجيا والابتكار لتزويد القوى العاملة بالمهارات اللازمة.
5. **الاستثمار في التكنولوجيا والبنية التحتية:** تطوير البنية التحتية التكنولوجية والاتصالات تساعد في توسيع الفرص لتحقيق الابتكار.
6. **التعاون بين القطاعين العام والخاص:** تشجيع التعاون بين الحكومة والشركات الخاصة والمؤسسات البحثية لتحفيز عمليات الابتكار.
7. **تحسين بيئة الأعمال:** تبسيط الإجراءات وتقليل العقبات القانونية والتنظيمية التي تعيق عملية الابتكار وبدء الأعمال الجديدة.
8. **تعزيز ثقافة الابتكار:** تشجيع ثقافة داخل المؤسسات والمجتمعات تشجع على التفكير الإبداعي وتقدير الاختلاف والتجديد المستمر.

2. مفهوم الابتكار في الأدبيات الأكاديمية

يُعدُّ الابتكار من المفاهيم متعددة الأبعاد التي تطوَّرت تعريفاتها باختلاف السياقات النظرية والوظيفية. وعمومًا، إليك مجموعة مختارة من التعريفات لباحثين أكاديميين و منظمات دولية :

يُعرَّف الابتكار في الأدبيات بأنه **عملية تطوير وتطبيق أفكار أو منتجات أو خدمات أو عمليات جديدة أو مُحسَّنة تُحقّق قيمة مضافة** سواء كانت اقتصادية، اجتماعية، أو تنظيمية. (Guidelines for Collecting, Reporting and Using Dat، 2018)

فقد عرَّف **OECD** و**Eurostat** (2018) الابتكار على أنه :

"تنفيذ منتج جديد (أو محسَّن بشكل ملحوظ)، أو عملية إنتاج، أو طريقة تسويق، أو طريقة تنظيمية جديدة في الممارسات الداخلية للشركة، أو في تنظيم مكان العمل، أو في العلاقات الخارجية". (Guidelines for Collecting, Reporting and Using Dat, 2018)

ومن منظور إداري، يشير **Tidd & Bessant** (2020) : إلى أن الابتكار ليس مجرد فكرة جديدة، بل هو **"التحويل الناجح لفكرة إلى قيمة"**، حيث يشمل مراحل متعددة تبدأ بالاكتشاف، مرورًا بالتطوير، وانتهاءً بالتطبيق والنشر.(Tidd, J., & Bessant, J, 2020)

كما يُبرز **Damanpour** (1991) في دراسة كلاسيكية أن الابتكار التنظيمي – على وجه الخصوص – هو:

"اعتماد نهج جديد لم يُسبق استخدامه من قبل المنظمة، سواء في مجال المنتجات، العمليات، الهياكل، أو الإجراءات". (Damanpour, F, 1991, pp. 555–590)

وفي سياق ريادة الأعمال، يربط **Schumpeter** (1934) الابتكار ارتباطًا وثيقًا بالتغيير الإبداعي، مُعرِّفًا إياه بـ:

"إدخال مزيج جديد من عناصر الإنتاج، أو فتح أسواق جديدة، أو تبني أساليب إنتاج جديدة، مما يؤدي إلى خلق قيمة اقتصادية غير مسبوقة". (Schumpeter, J. A، 1934. (العمل الأصلي نُشر عام 1911))

ويُجمع الباحثون المعاصرون على أن الابتكار ليس حكرًا على التكنولوجيا، بل يشمل **الابتكار الاجتماعي**، **الإبداع المؤسسي**، و**نماذج الأعمال الجديدة**. فعلى سبيل المثال، يوضح **West & Farr** (1990) :

أن الابتكار في مكان العمل ينبع من التفاعل بين الإبداع الفردي والدعم التنظيمي، ويُقاس بقدرته على "إحداث تغيير مفيد ومستدام". (West, M. A., & Farr, J. L, 1990, pp. 03-14)

فيعرّف الدكتور محمد بن إبراهيم السبيل الابتكار بأنه: "عملية إيجاد حلول جديدة أو مُحسّنة لمشكلات قائمة، أو لاستغلال فرص مستجدة، بطرق تُحقّق فائدة ملموسة للمستفيدين أو للمجتمع". (السبيل، محمد بن إبراهيم، 2020، صفحة 70)

كما يشير الهيئة السعودية للملكية الفكرية (2021) إلى أن الابتكار هو "تحويل الأفكار الإبداعية إلى منتجات أو خدمات أو حلول قابلة للتطبيق تُسهم في تحسين الأداء ورفع الكفاءة". (الهيئة السعودية للملكية الفكرية، 2021 . https://www.saip.gov.sa)

3. نشأة الابتكار: جذوره التاريخية وتطوّره المفاهيمي

يُعدّ الابتكار ظاهرة إنسانية قديمة قِدَم الحضارة ذاتها، إذ يرتبط ارتباطًا وثيقًا بقدرة الإنسان على حل المشكلات، وتحسين أدواته، وتطوير نمط حياته. فمنذ أن اكتشف الإنسان النار، وصنع أول أداة حجرية، كان يمارس أبسط أشكال الابتكار — تحويل الفكرة إلى واقع ملموس يُحقّق منفعة. ومع ذلك، فإن التحوُّل من الفعل الابتكاري التلقائي إلى فهم منهجي ومنظم له كـ"ظاهرة اقتصادية واجتماعية" لم يكتمل إلا في العقود الأخيرة، بعد تراكم المعرفة النظرية والتجريبية في هذا المجال.

أولاً: الجذور التاريخية للابتكار

يمكن تتبع نشأة الابتكار عبر العصور من خلال التحوّلات الحضارية الكبرى. ففي العصر الحجري الحديث (~10,000 ق.م)، شهد العالم أول "ثورة ابتكارية" عبر تدجين الحيوانات وزراعة المحاصيل، مما أدّى إلى استقرار المجتمعات وولادة الحضارات الأولى. وتتالت الابتكارات عبر التاريخ: من عجلة الفخار في بلاد الرافدين، إلى الورق والطباعة في الصين، وصولًا إلى الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر، التي حوّلت الابتكار من ممارسة فردية إلى عملية منظمة مرتبطة بالإنتاج والسوق. (Mokyr, J, 2002, p. 125)

وكان لابتكارات مثل المحرك البخاري، والكهرباء، والتلغراف، دورٌ محوري في ترسيخ فكرة أن "التقدُّم" لا ينفصل عن "الابتكار". وقد سجّل المؤرخون أن هذه المرحلة شهدت ولادة مفهوم "الاختراع الصناعي"، الذي أصبح لبنة أولى في بناء فهم اقتصادي للابتكار.

ثانيًا: التأسيس النظري للابتكار

يُعدّ الاقتصادي النمساوي **جوزيف شومبيتر** (Joseph A. Schumpeter) الرائد الأبرز في إعطاء الابتكار بُعده النظري الحديث. ففي كتابه الشهير *نظرية التطوّر الاقتصادي* (1911)، قدّم شومبيتر أول تعريف اقتصادي منهجي للابتكار، معتبرًا إياه "تنفيذاً جديدًا لأحد هذه العناصر الخمسة: منتج جديد، طريقة إنتاج جديدة، سوق جديدة، مصدر جديد للمواد الخام، أو إعادة تنظيم صناعية" . التي تُفسّر كيف تُحلّ الشركات والصناعات الجديدة محل القديمة، دافعة الاقتصاد نحو النمو.

(Schumpeter, J. A، 1934. (العمل الأصلي نُشر عام 1911))

ومنذ منتصف القرن العشرين، توسّع المفهوم ليشمل ليس فقط المنتجات التكنولوجية، بل أيضًا العمليات، والخدمات، والنماذج التنظيمية. وبرزت دراسات مثل تلك التي قدّمها **فريدريك دامان بور** (Damanpour, 1991)، التي فسّرت الابتكار التنظيمي كاستجابة للضغوط الداخلية والخارجية. (Damanpour, F، 1991)

ثالثًا: الابتكار في الفكر العربي المعاصر

في السياق العربي، يشير الباحث **د. عبد الله بن ناصر السعيد** إلى أن الحضارة الإسلامية كانت حاضنةً غنيةً للابتكار خلال العصور الوسطى، حيث دمج العلماء المسلمون بين التجريب والنظرية، وابتكروا أدواتٍ في الفلك، والطب، والهندسة لم تُسبق من قبل، ولكن مع تراجع دور البحث العلمي في العصور المتأخرة، تراجع الاهتمام المنهجي بالابتكار حتى عاد مجددًا في العقدين الماضيين كجزء من رؤى التنمية الوطنية في دول الخليج والعالم العربي.. (السعيد، عبد الله بن ناصر، 2018، صفحة 112) ، إن نشأة الابتكار لم تكن لحظةً واحدة، بل مسارًا تطوّريًّا طويلًا تداخلت فيه الحاجة، والإبداع، والمعرفة، والبنية المؤسسية. ومن فردٍ يشعل نارًا، إلى شركاتٍ تُعيد تشكيل العالم عبر الذكاء الاصطناعي، يظل الابتكار تجسيدًا لقدرة الإنسان على التجاوز والتجاوز المستمر للواقع.

3.المراحل العلمية لتطبيق الابتكار

تطبيق الابتكار يمر عادة بعدد من المراحل العلمية والعملية لضمان نجاحه وتحقيق الأهداف المرجوة. إليك المراحل العلمية الشائعة التي يمكن أن تساعد في توجيه عملية تطبيق الابتكار (Fernez –Walch Sandrine, Romon François, 2013) :

1. التحليل والتقييم:
   - تبدأ عملية التطبيق بالتحليل الدقيق للمشكلة أو الفرصة التي تحتاج إلى حلاً أو تطوير.
   - تقييم الاحتياجات والمتطلبات وتحديد الأهداف والمخاطر المحتملة.
2. البحث والتطوير:
   - تتضمن هذه المرحلة تطوير الأفكار والتقنيات والحلول المبتكرة التي يمكن تطبيقها.
   - يجري البحث والاختبار للتحقق من فعالية الحلول المقترحة والتعديل عليها حسب الحاجة.
3. التصميم والتخطيط:
   - يتم في هذه المرحلة تصميم ووضع خطة عمل مفصلة لتنفيذ الابتكار.
   - يشمل ذلك تحديد الموارد المطلوبة وتحديد الجداول الزمنية وتخصيص المهام.

4. تطبيق الابتكار:
   - يتم في هذه المرحلة تنفيذ الحلول والتقنيات الجديدة بناءً على الخطة المطلوبة.
   - يتم مراقبة وتقييم تقدم التطبيق وضمان تنفيذه بنجاح.
5. مراقبة وقياس الأداء:
   - يجب مراقبة أداء الابتكار بعد التطبيق للتحقق من تحقيق الأهداف المرجوة.
   - يتم قياس النتائج وتقديم التقارير وإجراء التعديلات الضرورية.
6. التوسع والتكيف:
   - إذا كان الابتكار ناجحًا، يمكن التوسع في تطبيقه على نطاق أوسع.
   - يمكن أيضًا تكييف الابتكار لتلبية احتياجات جديدة أو تحديات متغيرة.
7. التسويق والانتشار:
   - يجب تسويق وتعزيز الابتكار للوصول إلى المستخدمين أو العملاء المستهدفين.
   - توجيه جهود التسويق وتوسيع الانتشار لزيادة القبول والاستخدام.
8. إدارة التغيير:
   - التغيير المصاحب للابتكار قد يتطلب تعديلات في هياكل وعمليات المؤسسة.
   - يجب إدارة هذا التغيير بعناية وتوفير الدعم للفرق والأفراد المتأثرين به.

هذه المراحل العلمية تشكل إطارًا عامًا لعملية تطبيق الابتكار. يمكن تعديلها وتكييفها بحسب السياق ونوع الابتكار والصناعة. النجاح في تطبيق الابتكار يتطلب التخطيط والمتابعة والتقييم المستمر.

ما هو الفرق بين الإبتكار و الإبداع

الفرق بين **الابتكار** و**الإبداع** يكمن في المفهوم والتطبيق، رغم أن بينهما تداخلًا كبيرًا، بل ويُعتبر الابتكار غالبًا ثمرةً للإبداع. إليك توضيحًا دقيقًا للفرق بينهما :

1. الإبداع (Creativity) :

- التعريف: هو القدرة على توليد أفكار جديدة، غير تقليدية، أو أصيلة.

- طبيعته : ذهنيّة وتفكيرية، وتنتمي لمجال التفكير التأملي أو التخيّلي.

- المحور : *التفكير خارج الصندوق*، وتقديم حلول أو رؤى غير مألوفة.

- النتيجة : قد تبقى فكرة مجردة، دون تنفيذ.

- مثال : فنان يتخيل لوحة فنية جديدة لم يسبق رؤيتها، أو مُخترع يُفكّر في فكرة جهاز يمكنه تنقية الهواء من البكتيريا باستخدام الضوء.

2. الإبتكار (Innovation) :

- التعريف : هو تطبيق الأفكار الإبداعية لخلق قيمة ملموسة (منتج، خدمة، عملية، أو نموذج عمل جديد).

- طبيعته : عملية . تنفيذية ، وتنتمي لمجال التطبيق والتطوير.

- المحور: تحويل الفكرة إلى واقع مفيد، يمكن استخدامه أو تسويقه.

- النتيجة : منتج أو خدمة أو حل عملي يُحدث تغييرًا إيجابيًا.

- مثال : شركة تُنتج جهازًا فعليًا لتنقية الهواء بناءً على الفكرة المبدعة، وتطرحه في السوق ويُحدث تأثيرًا بيئيًا أو صحيًا.

- الإبداع = توليد الأفكار.

- الإبتكار = تنفيذ الأفكار المبدعة لخلق قيمة.

أمثلة مقارنة بين الإبداع والابتكار في مجال التعليم، لتوضيح الفرق بشكل تطبيقي وواقعي :

***الإبداع (فكرة جديدة غير مُطبَّقة بعد) :**

- المعلم يتخيل، طريقة لشرح درس الرياضيات باستخدام قصة خيالية، يتفاعل فيها الطلاب كأبطال يحلون الألغاز الرياضية.

- مُعلّمة تبتكر فكرة "معرض الأخطاء"، حيث يعرض الطلاب أخطاءهم في الحلول ويشرحون كيف تعلّموا منها — لتحويل الفشل إلى فرصة تعلم.

- باحث تربوي يقترح نموذجًا جديدًا لتقييم الطلاب يعتمد على *التفكير النقدي والمشاريع**، بدلًا من الامتحانات التقليدية.

في كل هذه الحالات، الفكرة جديدة وأصيلة، لكنها لم تُطبَّق بعد على أرض الواقع بشكل منهجي أو واسع.

***الابتكار (تطبيق الفكرة وتحويلها إلى قيمة فعلية) :**

- مدرسة : تطبّق منهج "التعلم القائم على القصص" في صفوف الرياضيات، وتُدرّب المعلّمين عليه، ويُظهر الطلاب تحسّنًا في الفهم والدافعية.

- مدرسة تُطلق رسميًّا "معرض الأخطاء" كل فصل دراسي، ويُصبح جزءًا من ثقافتها التعليمية، وينتشر كنموذج في مدارس أخرى.

- وزارة التعليم تعتمد نظام تقييم جديد يُقلّل من الاعتماد على الاختبارات ويُدخل مشاريع تطبيقية وتقييمات تعاونية — استنادًا إلى الأفكار الإبداعية السابقة — ويُعمّم على المدارس الوطنية.

هنا، الفكرة الإبداعية تحولت إلى ممارسة فعلية أحدثت تأثيرًا ملموسًا في النظام التعليمي.

المراجع و الإحالات :

Innovation and Creativity at Work: Psychological .Innovations at Work .(1990) .Farr, J. L & ,.West, M. A .14-3 ،*and Organizational Strategies*.

Organizational Innovation: A Meta-Analysis of Effects of Determinants and .(1991) .Damanpour, F .590–555 ، *Academy of Management Journal.https://doi.org/10.5465/256406* .Moderators

.innovation, De la stratégie aux projet Management de l .(2013) .Walch Sandrine, Romon François– Fernez .Paris: 3ème Edition, Vuibert: Paris

Guidelines for Collecting, Reporting and Using .(2018) .Guidelines for Collecting, Reporting and Using Dat https://doi.org/10.1787/9789264304604- ،*Eurostat.OECD Publishing & ,OECD* .Data on Innovation .en

Princeton University .*The Gifts of Athena: Historical Origins of the Knowledge Economy* .(2002) .Mokyr, J .Press: Princeton University Press

The Theory of Economic Development: An Inquiry into .(1934) .Schumpeter, J. A ( ) (العمل الأصلي نُشر عام 1911 Harvard :Harvard University Press .*Profits, Capital, Credit, Interest, and the Business Cycle* .University Press

Market and Organizational .Managing Innovation: Integrating Technological .(2020) .Bessant, J & ,.Tidd, J .*Change (6th ed.)*

السبيل، محمد بن إبراهيم. (2020). الابتكار واقتصاد المعرفة: دراسة تحليلية في ضوء التجربة السعودية. *مجلة جامعة الملك سعود – العلوم الإدارية المجلد 32، العدد02*، 70.

السعيد، عبد الله بن ناصر. (2018). الابتكار في الحضارة الإسلامية: دراسة تاريخية تحليلية. *مجلة جامعة الملك عبد العزيز – الدراسات الإسلامية المجلد 30،العدد 02*، 112.

الهيئة السعودية للملكية الفكرية. (2021 . https://www.saip.gov.sa). التقرير الوطني للابتكار 2021.

على محمد الخوري. (2022). *الاقتصاد العالمي الجديد: ما بين الاقتصاد المعرفي ومفاهيمه الحديثة والاقتصاد الرقمي والابتكارات التكنولوجية المتسارعة – دراسة عن أهمية إنتاج وإدارة المعرفة والاستثمار في التكنولوجيات المتطورة لبناء مقومات اقتصادية جديدة تستهدف التنمية المستدامة وتحسين جودة*. القاهرة: مجلس الوحدة الاقتصادية العربية.